صار وايفزعون على ذلك وفرق عامة عندهم لم يأمرهم بها أيمتهم وإنما هي من أفعال الزنادقة المنافقين
والإخلال فيمن يعتقد الإسلام في وجوب احترام المصاحف وإكرامها وإجلالها
وتنزيهها وفي العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة
وإن كان أهل البدعة متناقضين في الجمع بين ما جاءت به الشريعة وما اعتقدوه من البدعة
لكن التناقض جائز على العباد وهو أيسر عليهم من التزام الزندقة والنفاق والإلحاد وإن
كان تلك البدع هي المفضية إلى هذا الفساد وأما
الطائفة الثانية التي جعلت القرآن هو مجرد الحروف والأصوات فإنهم وافقوا الجهمية من المعتزلة
وغيرهم على ذلك فإن أولئك جعلوا القرآن وسائر الكلام هو مجرد الحروف والأصوات الدالة
على المعاني لكنهم لم يجعلوا الله كلاما تكلم هو به وقام به ولا جعلوا لهذه الحروف معاني
تقوم بالله أصلا إذ عندهم لم يقم بالله لا علم ولا إرادة ولا غير ذلك بل جعلوا الحروف و
الأصوات مخلوقة خلقها الله في بعض الأجسام كما يزعمون أنه خلق في نفس الشجرة صوتا
سمعه موسى حروف ذلك الصوت إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري
ولا ريب أن هذا يوجب أن تكون الشجرة هي القائلة إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني إذ المتكلم
بالكلام هو الذي يقوم به كما أن المتحرك بالحركة والعالم بالعلم وغير ذلك من الصفات و
الأفعال وغيرها هو من تقوم به الصفة ولا يجوز أن يكون الشيء متكلما بكلام يقوم
بغيره ولا يقوم به أصلا كما لا يكون عالما قادرا بعلم وقدرة لا تقوم إلا بغيره و
متحركا بحركة لا تقوم إلا بغيره وطرد ذلك عند المحققين من الصفاتية أنه لا يكون فاعلا
خالقا ومكونا بفعل وخلق وتكوين لا يقوم إلا بغيره كما هو مذهب أهل الحديث والصوفية
والفقهاء وطوائف من أهل الكلام ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس
الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل الذي هو قول الحدث من أهل الكتب المنزلة ولكن لم
يكن لهم بد من موافقة أهل الكتب في الظاهر وكانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم
كما علمه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل وأقدموا على ذلك وهؤلاء أيمة فهؤلاء
زنادقة وأما جهالهم بنفاق أنفسهم صاروا في الجمع بين تكذيبهم الباطن وتصديقهم

الظاهر

الظاهر حائرين بين النقيضين مضطرين إلى السفسطة في العقليات والقرمطة في
السمعيات مفسدين للعقل والدين وقولهم بخلق القرآن ونفي الصفات من أصول نفاقهم و
ذلك أنه من المعلوم ببداية العقول أن الحي لا يكون حيا بلا حياة أو بحياة تقوم بغيره
الا بحياة تقوم به لا يكون حيا صح
وكذلك العالم والقادر لا يكون عالما قادرا إلا بعلم وقدرة تقوم به لا يكون عالما قادرا
بلا علم ولا قدرة أو بعلم وقدرة تقوم بغيره وكذلك الحكيم والرحيم والمتكلم والمريد
لا يكون حكيما ولا رحيما أو متكلما أو مريدا إلا بحكمة ورحمة أو كلام وإرادة تقوم
به لا يكون حكيما بلا حكمة ورحيما بلا رحمة أو بحكمة ورحمة تقوم بغيره ولا يكون متكلما
ولا مريدا بلا كلام ولا إرادة أو بكلام وإرادة تقوم بغيره وكذلك من المعلوم ببداية
العقول أن الكلام والإرادة والعلم والقدرة لا تقوم إلا بمحل إذ هذه الصفات لا تقوم
بأنفسها ومن المعلوم ببداية العقول أن المحل الذي يقوم به العلم يكون عالما والذي تقوم
به القدرة يكون قادرا والذي يقوم به الكلام يكون متكلما والذي تقوم به الرحمة يكون
رحيما والذي تقوم به الإرادة يكون مريدا فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس تعلمها قلوبهم
علما فطريا ضروريا والألفاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من الألفاظ التي اتفق عليها بنو آدم
اللغات صح
فلا يسمون عالما قادرا إلا من قام به العلم والقدرة ومن قام به العلم والقدرة سموه عالما
قادرا وهذا معنى قول من قال من أهل الإثبات أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها
على ذلك المحل دون غيره أي إذا قام العلم والكلام بمحل كان ذلك المحل هو العالم المتكلم
دون غيره ومعنى قولهم أن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منها اسم كما يشتق لمحل
العلم عليم ولمحل الكلام متكلم ومعنى قولهم أن صدق المشتق لا ينفك عن صدق
المشتق منه أي أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم والكلام فإذا صدق على
الموصوف أنه عليم لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ولهذا كان أيمة السلف
الذين عرفوا حقيقة قول من قال مخلوق وإن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام بل
الكلام قام بجسم من الأجسام غيره وعلموا أن هذا يوجب بالفطرة الضرورية أن
يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام دون الله وأن الله لا يكون متكلما أصلا
صاروا ينكرون قولهم بحسب ما هو عليه في نفسه وهو أن الله لا

Copyright © King Saud University